حوار مع أنسي الحاج حول مجلة «شعر» وقصيدة النثر

أنسي الحاج

أسئلة: يسري الأمير

بعد أكثر من أربعين عامًا، هل تَنْظر إلى تجربة مجلة شعر على أنّها كانت مشروعًا أدبيّاً مجرّدًا؟ وهل كانت وجهة نظرَ القيِّمين على المشروع متجانسةً إزاءه؟

لا أزال أَشْعر، أمام الشقّ الأوّل من هذا السؤال، والذي يَحْمل رواسبَ ستالينيّات العروبة في أواخر الخمسينيّات، بالغضب الذي كان يتملّكني حينها، وسط تلك الأجواء التي لا تريد أن ترى إلاّ العمالةَ في المجّانيّة، والخيانةَ في التجدُّد، والرجعيّةَ في التقدُّميّة.

لا، لم تكن مجلة **شعر** مشروعًا أدبيّاً مجرّدًا بل كانت مشروعًا كيانيّاً شبهَ شموليّ. كنّا بضعةً لم يَفْهموا الأدبَ إنشاءً لفظيّاً وفصاحةً، وإنّما تجربةً ومغامرةً ومقامرةً بالذات. ولا فَهِمنا الشعرَ طربًا وتطريبًا، بل محاولةً لتغيير حياتنا وعالمنا، ومحاولةً ـ على الأخصّ ـ للكتابة بحسب رؤانا ومعاناتنا وبلغةٍ تُشْبه تلك الرؤى وهذه المعاناة، لا بلغة اتّباعيّة أو محنّطة.

وليس في مشروع كهذا ولا يُسْتَحْسن أن يكون تجانسٌ، اللّهم إلاّ في العناوين الكبرى، كالتجديد والنوعيّة والانفتاح والجرأة. وما عداها ملء التنوُّع.

ظهرتْ مجلة شعر بشكل حداثويّ لم يكن مألوفًا في المجلات الأدبيّة يومها، شكلاً ومضمونًا. فما هي المؤثِّرات التي ساعدت المجلةَ على تقديم هذا الجديد؟ وكيف اتّخذت نَسَقَها الطباعيّ هذا؟

شكلَها الطباعيّ قرَّره صاحبُها ومُنْشئها يوسف الخال، الذي كان عائدًا حديثًا من الولايات المتحدة. ولقد آثر هذا الشكلَ المتقشِّفَ الأنيقَ انسجامًا منه مع نزعته الكتابيّة والشعريّة إلى التقشُّف والتأنُّق على بساطةٍ وتجريدٍ. لقد كان يوسف الخال يَكْره التصنُّعَ والزخرفَ، وكان يَعْتقد باتّحاد الشكل والمضمون. وكان شكل المجلة يُشْبه مضمونَها: الجوهر لا الزخرف، والكلمة لا اللّفظة.

هل اعتبرتْ شعر نفسَها صاحبةَ الفضل في ظهور قصيدة النثر؟ وما كان موقفُها من التجارب الشعريّة الخارجة عن الشكل الكلاسيكيّ للقصيدة والسابقة عليها؟

كتابي الأوّل **لن** (١٩٦٠) هو أوّلُ وثيقةٍ في قصيدة النثر المكتوبة في اللُّغة العربيّة على أساس هذه الصفة، والمقدِّمةِ نفسَها على هذا الأساس. «دار مجلة **شعر**» نشرت الكتابَ، وقَبْله نشرتْ مجلة **شعر**، بقلم أدونيس، دراسةً عن قصيدة النثر. وقد أَدْرجت المجلّةُ على صفحاتها العديدَ من القصائد المنثورة قبل **لن** وبعده للعديد من الشعراء العرب، كمحمد الماغوط وجبرا إبراهيم جبرا وسواهما. ولكنّ **لن** هو الكتابُ الأوّل المعرِّفُ نفسَه بهذا الاسم، والمكتوبُ بهذه الصّفة تحديدًا، والمتبنِّي لهذا النوع الأدبيّ تبنِّيًا مُطْلقًا، وبنماذج مختلفة في أشكال كتابة القصيدة.

لم تَعْتبر **شعر** نفسَها صاحبةَ الفضل، كما تقول، بل ناقشتْ **لن** في «خميسها» نقاشًا تلاقى فيه التأييدُ بالتحفُّظِ والرفض. وهو نقاش منشور في صُحُف تلك الأيام، وأُعيدَ نشرُه قبل أعوام لمناسبة إعادة إصدار **لن** وسواه من كتبي. فَضْلُ **شعر** أنّها انفتحتْ للجدَل بدون أحكام جاهزة، ولم تَخَفِ الخوضَ في هذا المجهول. وما لبث بعضُ أركانها أن كَتَبوا بدورهم قصائدَ نثر، لا برهانًا على «فضلهم» بل إثباتًا عمليّاً لنظريّة التجريب ولكون الأدب مغامرةً مفتوحةَ الآفاق إلى ما لا نهاية.

ما هي الأسس النظريّة التي اعتمدتْها شعر في دعوتها إلى قصيدة النثر؟ وما هو أثر اعتماد هذه الدعوة على مرجعيّة شعريّة غربيّة؟ وما هي المعايير التي استُخدمتْ في تقويم القصائد النثريّة المرسلة إلى المجلة؟

مجلّة **شعر** لم تَكُن حزبًا بل مجلّة. وقد قاربتْ بين أشخاصها لحظةُ تغيُّرٍ تاريخيّ: لحظةٌ موضوعيّةٌ توزَّعتْ في تجاربَ شخصيّةٍ

كلّ منها مختلفٌ جداً عن الأخرى، ويكاد لا يَجْمع بينها سوى رغبة الانعتاق، فضلاً عن الصداقة. هناك دراسة عن قصيدة النثر نشرتْها المجلةُ لأدونيس، ولم تكُنْ بيانًا حزبيّاً ولا نشرةً عسكريّةً بل مجرَّد دراسة اعتمَدَ فيها صاحبُها كمرجعٍ له كتابًا كان قد صَدَرَ حديثًا في باريس للباحثة سوزان برنار. ثمّ نشرتْ لي الدارُ كتاب لن، ومعه مقدّمتُه التي يقع قسم منها في التنظير الأدبيّ الشكليّ (يومَها كان يبدو ضروريّاً، كما يبدو «التنظيمُ» ضروريّاً في ضباب البداية) ويَحْمل القسمُ الآخرُ مفهومًا شخصيّاً للشعر والحياة، اعتبَره البعضُ بيانَ حداثة في صورةٍ عامّة.

لن أعود إلى الأسس النظريّة التي تسألني عنها لأنّها استُهْلِكَتْ مرارًا. لم يعد من شيء يقال في هذا الموضوع. ثمة من اعتَبَرَ ولا يزال يصرّ على الاعتبار أنّنا لم نَخْلق شيئاً بل نَقَلْنا إلى العربيّة تجربةً فرنسيّةً. وما يوحي ذلك، هو أنّنا، أنا وأدونيس، استندنا في رسم بعض ملامح قصيدة النثر إلى دراسة سوزان برنار التي لاتزال المرجعَ الأكبرَ في الأدب الفرنسيّ، وربما في الأدب العالميّ كلِّه. لقد فعلنا ذلك ظنّاً منّا أنّ الاستشهاد بباحثة أكاديميّة رصينة قد يعيننا على ترسيخ ما لا وجودَ لمثله في تراثنا. ولكنّ الحقيقة أنّنا لم نَكُنْ في حاجةٍ إلى هذا الاستقواء. ولا أحد في مشاريع الخلق يَحتاج إلى مراجع. إنّي أقول الآن ما قلتُه مرارًا. هذه آثارنا، ليقرأها مَنْ لايزال يريد أن يقرأ، وليَقْبَلْها أو ليرفضْها. فليدخلْ بعضُ القرّاء من مقدّمة لن، لا إلى قصائد لن فحسب، بل إلى باقي النتاج، نتاجي ونتاج عشرات الشعراء العرب الذين صاغوا حياتَهم وتجاربَهم خلال الأربعين عامًا الماضية في قصائد نثر. انسوا المقاييسَ، وانسوا المواقفَ السياسيّةَ والحساسيّات الشخصيّة. لتَقْرأْ عيونُ النقدِ والبحث هذا النتاجَ قراءةَ اكتشافٍ وتقييم. إنّه هنا قائم، فلماذا البحثُ خارجَه وعلى ضفافه؟

ولعلّه من المفيد القول في هذا الإطار إنّي لم أُرِدْ لقصيدة النثر أن تحتلّ محلّ الأوزان المعروفة. لقد أردتُ لها أن تأخذ مكانها إلى جانب الأشكال الأخرى للتعبير. ومع هذا قامت القيامةُ وجرى التخوينُ والاتّهامُ بتخريب التراث. لقد ووُجِهتُ، وأصدقاءَ لي في منتصف القرن العشرين، بأسوأ ممّا وُوجِه به المجدِّدون العرب في العصور القديمة، لا لشيء إلاّ لأنّي أضفتُ نوعًا جديدًا إلى الشعر العربيّ.

شنّت مجلةُ الآداب هجومًا عنيفًا على شعر، وقد كانت خلفيّةُ هذا الهجوم سياسيّةً أكثرَ منها أدبيّة. فهل ترى أنّ دفاع شعر عن تجربتها اتّسم بالطابع الأدبيّ، أم أنّه انساق وراء الموقف السياسيّ بدوره؟ وكيف تقوِّم تلك المعركةَ اليوم؟

أشكر لمجلة الآداب قولَها إنّ خلفيّة هجومها كانت سياسيّةً أكثرَ منها أدبيّة.* كانت بعضُ ردود مجلة **شعر** متأثّرةً طبعًا بالهجوم السياسيّ، ولكنّها لم تَخْرج عن إطار مفاهيمها الأساسيّة في الشعر والأدب. أعتقد أنّ أشدّ المقالات تطرُّفًا، لا ردّاً على الآداب وحدها بل على جميع الأقلام التخوينيّة والمستهزِئة في العالم العربيّ، قد ظهرتْ خارج المجلّة، وفي صحفٍ كـ **النهار** التي كنتُ أحرِّر صفحتَها الأدبيّة، وكتبتُ فيها مقالاتٍ كانت تأثيراتُها "سلبيّة" تَنْعكس أحيانًا على مجلة **شعر** رغم انتفاءِ أيّ علاقةٍ للمجلة بكتاباتي ومواقفي تلك.

كيف ترى إلى موقف الكتّاب والشعراء من مجلّة شعر وتجربتها؟ وما هي خلفيّاتُ بقاءِ بعضهم ضمن تيّارها

* ـ وضَعَ الأسئلة الأستاذ يسري الأمير، فاقتضى التنويه. (الآداب)

حوار مع أنسي الحاج حول مجلة «شعر» وقصيدة النثر

وابتعادِ البعض الآخر، وأحيانًا اتّخاذ بعض المبتعدين مواقفَ قاسيةً من المجلّة؟

إنّها الحساسيّات الشخصيّة، ما خَلَتْ منها عصبةٌ ولا فريق.

ما كان أثر تجربة شعر في ظهور مجلات أدبيّة لاحقة عليها؟

ظهرتْ مجلاّتٌ حاولت أن تملأ فراغ **شعر**. وقد يكون لبعضها أثرٌ جيِّد، ولكنّها لم تملأ ذلك الفراغَ.

خصّصتْ شعر بعضَ أعدادها المتأخّرة لقضايا قوميّة سياسيّة، مثل الثورة الجزائريّة والقضيّة الفلسطينيّة. فهل كان ذلك تراجعًا عن موقف وتغييرًا فيه، أم مراعاةً لمزاجٍ سائد، أم نوعًا من الدفاع ضدّ بعض التهم الموجّهة إلى المجلّة، أم تراه كان غير ذلك كلّه؟

أردنا أنْ نُثْبت أنّ الكتابة «القوميّة» ممكنةٌ بلا صراخ، بعيدًا عن الرواسم الشائعة، وخارج الخطابات العقائديّة. وأَعْتقد اليوم أنّ ذلك لم يكن ضروريّاً، لا لأنّ كثيرين تلقّوْه على غير دعواه، بل لأنّنا استسلمنا في ذلك لإغراء المراعاة، كما تقول، وكنّا في غنًى عنها، كما هو في غنًى عنها كلُّ واثقٍ مِنْ صِدْقه وإخلاصه.

ما الفرق بين توقُّف شعر الأول وتوقُّفها الثاني؟ وهل ترى أنّ توقُّف المجلّة كان ضروريّاً في الحالَيْن؟ وهل كان اتِّخاذ القرار بإيقافها متّفَقًا عليه بين أفراد أُسْرتها؟

كان ضروريّاً توقُّفُها في الحالة الأولى حتمًا. ومن هنا إصراري على أن يتضمّن العددُ الأخير عبارةَ «العدد الأخير،» منعًا للوقوع في تجربة التراجع. عواملُ عديدة تضافرتْ لجعل هذا التوقُّف حتميّاً، منها السَّأم؛ ومنها انصرافُ كلِّ واحدٍ منّا إلى عالمه الشخصيّ كتابةً وتفتيشًا، بحيث ابتعدنا واحدُنا عن الآخر على نحوٍ لم يَعُدْ يَنْتج منه لتجربةٍ مشتركةٍ كتجربة مجلّة **شعر** أيُّ خير. أمّا التوقُّف الثاني فقد كانت أسبابُه ماديّةً أكثرَ ممّا كانت معنويّة. وقبل وفاة يوسف الخال ببضعة أعوام التقينا مرارًا، هو وأدونيس وفؤاد رفقة ونديم نعيمة وأنا، في محاولةٍ لإحياء المجلّة مرّةً ثالثة. وكان أدونيس شديدَ الاندفاع والحماسة، كذلك يوسف وسائر الأصدقاء. ولعلّ تحفُّظاتي كانت سببًا في إخفاق المشروع.

كان لـ شعر أثرُها الكبير في الشعر الحديث. فهل أنتَ راضٍ بشكلٍ عام عن هذا الأثر اليوم؟ وهل تَعْتبر المشهدَ الشعريَّ المعاصر أمينًا لتجربتها؟

أهمُّ ما في المشهد الشعريّ الراهن حيويّتُه وتنوُّعُ أنماطه. لم تكن مجلة **شعر** نهايةَ مطافٍ بل بداية. ليس ضروريّاً الوفاءُ لها. لعلّ الضروريّ هو الانشقاقُ عنها أو الخروجُ عليها. وإنْ أراد بعضُهم المواصلةَ ضمن خطوطها فذلك يكون أفضلَ ما يكون بالذهاب حيث لم يَذْهب شعراؤها، وبالتوغُّل أبعدَ ممّا توغّلوا، وبأن يكونوا شعراء وخلاّقين أفضلَ ممّا استطعنا نحن أن نكون.

بيروت

أنسي الحاج

من كبار شعراء قصيدة النثر العرب. من المسهمين الروّاد في مجلة **شعر**، تحريرًا وكتابة. وهو منذ أعوام رئيسُ تحرير جريدة **النهار** اللُّبنانيّة.